

جدلية البناء والهدم في مدينة سامراء الإسلامية
٢٢١ - ٦٥٦ هـ

**The Dialectic of Construction and
Demolition in the Islamic City of Samarra
(656-221 A.H)**

م. د. مضر محمد عبد الحسين
مركز واسط الدراسي
الكلية التربوية المفتوحة

**Lect. Dr. Mudhar Mohammad Abdulhussein
Wasit Study Center
Open Educational College**

جدلية البناء والهدم في مدينة سامراء الإسلامية

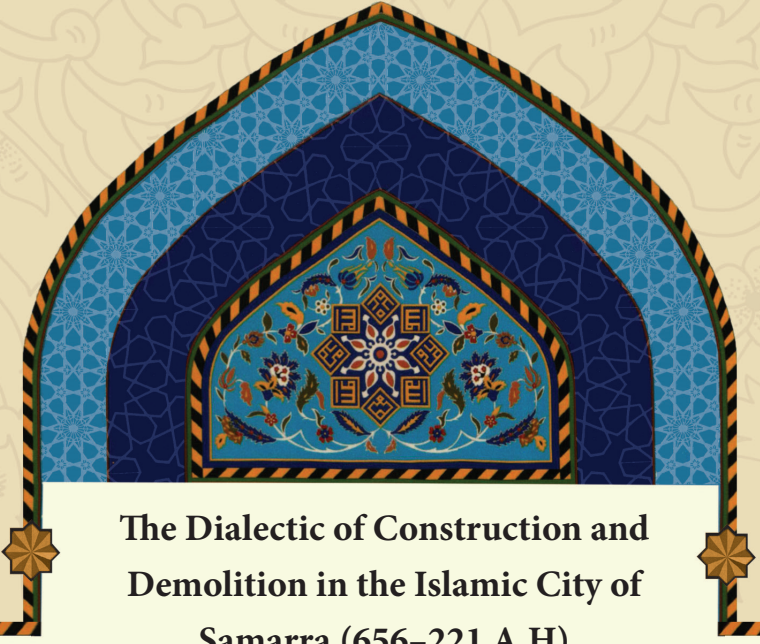
٢٢١ - ٦٥٦ هـ

الملخص:

تتناول الدراسة الموسومة جدلية البناء والهدم في مدينة سامراء الإسلامية المرحلة الممتدة من تأسيسها عام (٢٢١هـ) حتى سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ)، إذ يُعد عمران المدينة، التي أسسها المعتصم العباسي كعاصمة جديدة، انعكاساً مباشراً للتحوّلات السياسية والاقتصادية للدولة العباسية. يركز البحث على تتبع العوامل التي أدت إلى ازدهار المدينة باستخدام مواد بناء فخمة، وكيف تحولت هذه العوامل لاحقاً إلى ظروف قادت إلى هدم منشآتها وإعادة تدوير موادها في مدن أخرى. يُفسر البحث الجدلية على أنها آلية تاريخية وحضارية عكست أوضاع المدينة الإسلامية، حيث ارتبط البناء بترسيخ السلطة السياسية للخلفاء، بينما ارتبط الهدم بظروف سياسية واقتصادية واجتماعية متغيرة، تهدف الدراسة إلى تحليل الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذه الجدلية، وإبراز أثرها في تشكيل ملامح العمارة الإسلامية وتاريخ المدن العراقية.

الكلمات المفتاحية:

سامراء، البناء، الهدم، الجدلية العمرانية، العصر العباسي.



The Dialectic of Construction and Demolition in the Islamic City of Samarra (656–221 A.H)

Abstract:

This study, titled "The Dialectic of Construction and Demolition in the Islamic City of Samarra," covers the period from its founding in 221 A.H to the fall of Baghdad in 656 A.H. The city's urban development, founded by the Abbasid Caliph Al-Mu'tasim as a new capital, directly reflected the political and economic transformations of the Abbasid state. The study traces the factors that led to the city's flourishing through the use of lavish building materials, and how those same factors later gave way to circumstances that led to the demolition of its structures and the recycling of materials in other cities. The study interprets this dialectic as a historical and civilizational mechanism that mirrored the state of the Islamic city, where construction was tied to consolidating the political authority of caliphs, while demolition was tied to changing political, economic, and social conditions. The study aims to analyze the political, social, and economic dimensions of this dialectic and highlight its impact on shaping Islamic architecture and the history of Iraqi cities.

key words:

Samarra, construction, demolition, urban dialectic, Abbasid era.

خلال الحقبة الممتدة ما بين (٢٢١-٦٥٦هـ). فالجدلية هنا لا تُفهم على أنها مجرد تقابل بين فعلين متناقضين، بل هي آلية تاريخية وحضارية عكست وضع المدينة وتطورها عبر الزمن؛ إذ لم يكن البناء في سامراء فعل تشييدٍ معماري فحسب، بل ارتبط بالسلطة السياسية ورغبة الحكام والسلاطين في ترسيخ هيبتهم وإظهار عظمتهم، بينما ارتبط الهدم -سواء أكان إهمالاً أم تدميرًا مقصودًا أم إعادة توظيف للمنشآت- بظروف سياسية واقتصادية واجتماعية متغيرة، ومن ثم فإن دراسة هذه الجدلية تكشف عن طبيعة العمران في سامراء، وتوضح كيف أسهم الصراع بين البناء والهدم في تشكيل ملامحها المعمارية والحضارية مستقبلاً.

إشكالية البحث:

تمثل مدينة سامراء واحدة من أهم المدن الإسلامية التي شهدت حركة عمرانية هائلة منذ تأسيسها سنة (٢٢١هـ)، لكنها في الوقت نفسه تعرضت لعمليات هدم واستنزاف متعاقبة بعد انتقال السلطة منها، يثير ذلك تساؤلات حول جدلية البناء والهدم في هذه المدينة: كيف تشكلت حركة البناء الضخمة؟ وما العوامل التي

تُعد مدينة سامراء إحدى أهم الحواضر الإسلامية التي ازدهرت في العصر العباسي، إذ شُيّدت لتكون عاصمة جديدة للدولة في عهد المعتصم العباسي (١٩٨-٢٢٧هـ)، وقد ارتبط عمرانها ارتباطاً وثيقاً بالتحويلات السياسية والاقتصادية والعسكرية للدولة العباسية، مما جعلها مسرحاً لدورة متواصلة من البناء والتشييد من جهة، والهدم والإهمال من جهة أخرى. يركز البحث على دراسة جدلية البناء والهدم في سامراء عبر تتبع العوامل التي أدت إلى ازدهارها العمراني من خلال استعمال مواد بناء فخمة أسهمت في ظهور أبنية وقصور بديعة، والظروف التي قادت إلى إعادة هدمها وتدويرها في أماكن ومدن أخرى، مما أدى إلى انحسار دورها الحضاري حتى سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ)، مع تحليل للأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي انعكست على عمرانها، واستعراض أدلة وشواهد تاريخية على ذلك.

يُقصد بمصطلح الجدلية في البحث العلاقة التفاعلية-المتناقضة بين عمليتي البناء والهدم في مدينة سامراء الإسلامية





قادت إلى الخراب وإعادة توظيف موادها البنائية في أماكن أخرى؟ وما انعكاس هذه الجدلية على هوية العمارة الإسلامية في العراق حتى سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ)؟ وفي ظل التحديات التي تواجه المدن الإسلامية كيف يمكن استلهام الدروس لتطوير استراتيجيات معاصرة توازن بين التجديد العمراني والحفاظ على التراث الحضاري في المدن الإسلامية اليوم؟

أهداف البحث:

١. الكشف عن المواد البنائية ومصادرها وطرق جلبها عند التأسيس.
٢. دراسة ظاهرة الخراب والهدم في المدينة بعد هجرتها.
٣. تتبع حركة المواد البنائية المنقولة من سامراء إلى أماكن أخرى.
٤. إبراز أثر هذه الجدلية في فهم العمران الإسلامي وتاريخ المدن العراقية.

أهمية البحث:

- يسלט الضوء على جانب مغفل من تاريخ سامراء: إعادة توظيف موادها البنائية.
- يقدم رؤية نقدية لمفهوم الجدلية العمرانية بين البناء والهدم.

• يربط التاريخ السياسي بالتحويلات العمرانية والاقتصادية.

منهجية البحث:

- المنهج التاريخي التحليلي: لدراسة النصوص والمصادر.
- المنهج الأثري المقارن: لتحليل الشواهد الباقية في سامراء والمدن الأخرى.
- المنهج النقدي: لتفسير الظاهرة ضمن إطار جدلي (بناء هدم).

قُسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، تطرق المبحث الأول إلى مرحلة البناء وبدايات الهدم في مدينة سامراء حتى سنة (٣٣٤هـ). وتناول المبحث الثاني تفكك سامراء وإعادة توظيف موادها المعمارية من سنة (٣٣٤هـ إلى ٦٥٦هـ). واختص المبحث الثالث بالعوامل المؤدية إلى الهدم وإعادة التوظيف في مدينة سامراء حتى سنة (٦٥٦هـ). وذيل بخاتمة استعرضت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

تمهيد

قصور الدولة واستخدام حجارتها في مدن أخرى نوعاً من نقل السلطة من مركز إلى آخر، فكل حجر يُنقل من سامراء كان شاهداً على أفول عصرٍ وبزوغ آخر^(٣).

ثم تطورت عمليات الهدم بعد أن كانت تقتصر على عمائر الأمم السابقة شملت مشيدات العصر العباسي، وأصبحت مباحة في أي وقت ولأي منشأة معمارية، ولأي سبب كان، فهدمت الكثير من الأبنية التي شيدها الحكام العباسيون وغيرهم في عصر قوتهم لا سيما في مدينة بغداد، فظهرت مرحلة جديدة في تاريخ العمارة العباسية يمكن أن نطلق عليها الهدم الذاتي^(٤).

ومن الطبيعي أن تتأثر المدن العراقية بالظروف التي مرّت بها حاضرت الدولة ومنها مدينة سامراء، فما وصل إلينا من أخبارها يثبت أنها استمرت بالتدهور والانحطاط العمراني بعد أن هجرت في نهاية القرن الثالث الهجري وصولاً إلى

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ٧٣؛ الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٩٤.

(٤) ينظر: الصابي، الوزراء، ص ٣٤؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج ٥، ص ٣٥١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٦٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٧، ص ٥.

لم تكن ظاهرة هدم الأبنية وإعادة تدوير موادها حالة طارئة على العمارة العراقية بصورة عامة والعباسية بصورة خاصة، وذلك لكثرة تعاقب الحضارات العريقة على أرض العراق منذ فجر التاريخ، فلكل منها طابع معماري خاص، ونتيجة لذلك امتلك إرثاً معمارياً ضخماً جعل رصيده من المواد الأولية كبيراً ومغرياً لكل من أراد أن يبني مجده ويخلد ذكره عن طريق الصروح والقصور وغيرها. أما في العصر العباسي فالشواهد على ذلك كثيرة لتوفرها في المصادر التاريخية ووصول البناء إلى مرحلة الذروة نتيجة لتراكم الخبرات الفنية والمعمارية. في الوقت ذاته كان هناك حالات متكررة لنقض بعض الأبنية القديمة وإعادة تدوير موادها في أماكن جديدة^(١)، أدرجت على أنها ذات طابع اقتصادي الغرض منه التقليل من كلفة البناء في بعض الأحيان^(٢)، ومن الممكن أن تحمل في طياتها طابعاً رمزياً يراد به التقليل من إنجازات الأمم السابقة وتثبيت سلطة الدولة وهيبتها. وفي سامراء مثل تفكيك

(١) الصابي، الوزراء، ص ٣٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٦٣.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٥، ص ٣٥١.





نهاية العصر العباسي^(١)، هذه الظاهرة - أي إعادة توظيف عناصر العمارة السابقة - ليست جديدة في التاريخ الإسلامي، لكنها في حالة سامراء بلغت مستوى فريداً؛ بسبب ضخامة المدينة وغناها بالمواد الإنشائية الفاخرة، في ضوء هذا المفهوم يمكن فهم ما حدث في سامراء بوصفه حلقة في سلسلة التطور الحضاري للعراق، حيث يتحوّل الهدم إلى فعلٍ بناءً بالمعنى الثقافي، وخسارة لا يمكن تعويضها في المنظور الآثاري.

المبحث الأول

مرحلة البناء وبدايات الهدم في مدينة سامراء حتى سنة (٣٣٤هـ)

لم يكن تأسيس مدينة سامراء من قبل المعتصم العباسي سنة (٢٢١هـ) مجرد حدث عمراني مثل انعكاساً لتكامل السلطة والعمران في الحضارة الإسلامية، وإنما أنتج مدينة قد فاقت مثيلاتها من المدن العربية بسبب استقدام أعداد كبيرة من المعمارين والحرفيين والفنانين من مختلف أنحاء الدولة الإسلامية، وهؤلاء بدورهم وضعوا كل ما يمتلكون من خبرات في

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٢٠.

هذا المجال^(٢)، مما أسهم في ظهور طراز فني جديد ومميز عرف بطراز سامراء، استخدم فيه الجص لطلاء الجدران؛ لسهولة نقشه وزخرفته، فظهرت قصورها ومبانيها كتحف معمارية رائعة^(٣)، فكان لسامراء طراز خاص «ترك بصماته على أغلب منتجات الفنون الإسلامية في شتى أقطار العالم الإسلامي»^(٤).

مثّلت المدينة مشروعاً سياسياً وإدارياً واقتصادياً متكاملًا جسّد ذروة التنظيم العباسي، لكنه حمل في داخله بذور الاضمحلال ذاته، فالطابع العسكري للمدينة جعل ازدهارها مرهوناً باستمرار القوة السياسية، وعندما تزعزعت تلك القوة بدأت ملامح الإنهيار تظهر تدريجياً^(٥).

ومن المهم أن نذكر المواد الأولية التي استخدمت في بناء مدينة سامراء؛ كونها العنصر الحاسم في عملية الهدم والبناء، فأنواعها وطبيعتها مهّد فيما بعد لتحديد (٢) اليعقوبي، البلدان، ص ٥٨.

(٣) مديرية الآثار العراقية القديمة، سامراء، ص ٣٩.

(٤) ينظر: عبد الرزاق، الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، ص ٤٣.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٦٧.



وتلك المواد، أحضرت من الدول المجاورة للعراق كمدن الشام وبلاد فارس وغيرها. فكان للتنوع الجغرافي للدولة الإسلامية أثر في تعدد موارد المواد الأولية وصقلها على يد خبراء العمارة؛ لتمكنهم من ظهور عمارة المدينة بأبهى صورها^(٥)، وهذا ما أظهرته التنقيبات الاثرية في بقايا أبنية المدينة^(٦).

أما المواد التي كانت تستعمل لربط الطابوق والأجزاء الأخر أثناء البناء، فكانت مادة الجص في أغلب الأحيان، وتم الاستفادة منه بصقل وتسوية الجدران وصبّ قوالب نقوش جاهزة لتثبت بعد ان تجف على بعض الجدران والسقوف وغيرها، وقد غلفت جدران بعض الأبنية بقطع زجاجية كانت مركبة بالجص أيضاً^(٧). ولم يكن اختيار هذه المواد اعتباطياً، بل جاء نتيجة رؤية هندسية متكاملة تأخذ (٥) ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص ٥٨؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٢٢؛ العميد، العمارة العباسية في سامراء، ص ١٤٨.

(٦) ينظر: سفر والحسيني، صيانة الأبنية الأثرية في العراق، ص ٢٢؛ سلمان وآخرون، العمارات العربية الإسلامية في العراق، ص ١١٨.

(٧) ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٢٢؛ العميد، العمارة العباسية في سامراء، ص ١٥٠؛ مديرية الآثار العراقية القديمة، سامراء، ص ٣٩.

مصيرها وحركة التدوير التي شهدتها، فلم يكن من السهل بناء مدينة ذات أبنية فائقة الضخامة شيدت على مساحة شاسعة كان أبطالها الآلاف من المهندسين والفنانين والعمال^(١) من دون توفير مواد أولية كفيلة بتغطية التفاصيل المعمارية الكبيرة للمدينة، ومن أهمها المواد المتوفرة محلياً كاللبن والآجر والجص والحجر والحصى^(٢). كما أثبتت التنقيبات الأثرية استعمال مواد أخرى في تقنيات البناء مثل من الكلس والرماد لا سيما في الأرضيات والمناطق التي تتعرض للمياه والرطوبة؛ للحيلولة دون التلف والتآكل^(٣).

وهناك إشارة إلى إحضار بعض أنواع الآجر والأبواب وغيرها من أنقاض مدينة النجف والحيرة وبغداد^(٤). أما السقوف فكانت من جذوع النخيل جلبت من البصرة. يضاف إلى ذلك الخشب القوي وأساطين الرخام والأحجار التي وضعت في الأرضيات أو تغليف الجدران،

(١) اليعقوبي، البلدان، ص ٥٨-٥٩.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ج ١، ص ٢٢٨.

(٣) ينظر: العميد، العمارة العباسية في سامراء، ص ١٥٤؛ يوسف، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، ص ٣٢٩.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٢٥٢.



معها كل مفاصل الدولة. وإذا أردنا أن نقيم اسقاطات السياسة على عمارة مدينة سامراء يلاحظ أن عمر المدينة لم يدم سوى ما يقارب نصف القرن؛ إذ شهد ظهورها نهاية عصر القوة وبداية عصر التدهور رغم اتساع رقعتها الجغرافية وكثرة أبنيتها المتقنة، وقد شكّلت تلك العمارة الفريدة قاعدة مادية لما تلاها من عمليات نقض وإعادة استعمال لمكونات المدينة في عصور لاحقة.

فلم تلبث أن شهدت تحولاً ملحوظاً منذ عهد المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ) الذي وضع سنة هدم الأبنية وإعادة تدوير موادها الأولية فيها؛ إذ باشر بهدم المسجد الذي شيده المعتصم عند انتقاله إليها سنة (٢٢١هـ) بحجة عدم استيعابه لأعداد المصلين، وكان موقعه في طرف السوق^(٢)، ولم يمض عليه عشر سنوات، وكان يسمى الجامع القديم^(٣)، ومن المرجح أن يكون استغل مواد البناء في عمارة جامع الجديد المعروف بالملوية، وقد ظهر ذلك جلياً حينما أهدر موارد الدولة

في الحسبان المناخ المحلي وطبيعة الأرض، فالآجر يحتفظ بالحرارة نهاراً ويبرد ليلاً، مما جعله مثالياً لبيئة العراق الحارة، كذلك فإن استخدام الجصّ منح العمائر سطحاً ناعماً يعكس الضوء ويظهر الزخارف بوضوح فني فائق.

ونتيجة لذلك، أصبحت المدينة مختبراً لتفاعل الأساليب المعمارية والفنية المتنوعة في العالم الإسلامي، استخدم فيها البناؤون الطابوق المفخور والجصّ والآجر بكميات هائلة، وأقيمت قصور فخمة ومساجد عظيمة في زمنٍ قياسي، فقد كان إنشاء سامراء أيضاً مشروعاً اقتصادياً ضخماً أنعش مناطق واسعة من العراق، حفز الطلب على المواد البنائية والتجهيزات وحركة النقل والتجارة على طول دجلة، وربط بين المدن العراقية في شبكة اقتصادية متكاملة، غير أن هذا الازدهار كان يعتمد اعتماداً كلياً على إنفاق الدولة، مما جعل المدينة رهينةً لاستقرار السلطة السياسي والمالي^(١).

يرتبط الوضع السياسي لكل بلد بصورة مباشرة بالحالة العمرانية، فما أن يستقر الوضع السياسي حتى يستقيم (١) ينظر: العميد، العمارة العباسية في سامراء، ص ١٥٠؛ كريزويل، الآثار الإسلامية، ص ٣٧٥.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ج ٢، ص ٣٦٤.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ج ٢، ص ٣٦٤؛
اليقوي، البلدان، ص ٦١؛ ابن الفقيه، البلدان،
ص ٣١٦.



معظم المواد التي بنيت بها المتوكلية كتعبير عن غضبه على سياسة أبيه مع أن عمر المدينة لم يدم سوى حوالي تسعة أشهر^(٥).

وعلى مستوى أبنية عامة الناس وحاشية الحاكم ومن يتبعهم، الذين تبعوا المتوكل حين تحول عن سامراء وبنوا دورهم في المحلات والاقطاعات التي وزعها عليهم، ولكثرة من تبعه قيل بأن سامراء كادت تخلو من الناس، وبعد هدم قصور الدولة وغيرها أصبح السكن بالمدينة غير ذي جدوى، فعادوا حاملين معهم أنقاض دورهم إلى سامراء. ومن تلك المرحلة بدأت مظاهر النقض العمراني بالظهور، لتغدو بعدئذ ظاهرة متكررة تجلت في تفكيك الأبنية ونقل موادها إلى مواضع أخرى، وهو ما شكّل بداية التدهور العمراني الذي اعترى المدينة حتى انحسار دورها الحضري في العصور اللاحقة^(٦).

ثم استمرت عمليات الهدم في مدينة

ليضيف إلى سامراء مدينة أخرى سميت بالمتوكلية في سنة (٢٤٥هـ)^(١)، مستعملاً في بنائها مواد وأجزاء من أبنية سامراء، فأمر بهدم قصري البديع والمختار، مع انه شيدهما مسبقاً، ولم يمض على ذلك وقت طويل وكانا غاية في الجمال والروعة، فلم يكن هناك أحسن منها بناءً وأثباتاً، زينت جدرانها بالصور^(٢)، والسبب في ذلك لاستعمال ساجهما وموادهما الأخرى في مدينته الجديدة، ووضعها في قصره المعروف بالجعفري الذي أنفق عليه حوالي مليوني دينار^(٣)، ثم لم تلبث مواد البناء في الجعفري طويلاً، إذ عادت إلى سامراء مجدداً بعد أن أمر ابنه وخليفته المنتصر بالله (٢٤٧-٢٤٨هـ) بهدم قصور وأبنية المتوكلية، ونقل موادها عند عودته إلى المدينة سنة (٢٤٧هـ)^(٤)، بسبب الصراع العائلي والعداء الشخصي بينه وبين أبيه حتى وصل الأمر إلى اتهامه بقتله، فنقلت

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ج ٢، ص ٣٦٤.

(٢) الشابستي، الديارات، ص ١٥٩؛ الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٧٠.

(٣) الطبري، تاريخ، ج ٧، ص ٣٨٢ - ص ٢٨٣.

(٤) ينظر: اليقوي، البلدان، ص ٦٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ٤٦؛ الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٥٣.

(٥) اليقوي، البلدان، ص ٦٨.

(٦) ينظر: اليقوي، البلدان، ص ٦٨، اليقوي، تاريخ اليقوي، ج ٢، ص ٤٩٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ٤٦؛ الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٤٣ - ص ١٤٤، ص ٥٣.



وسامراء فيما بعد، فنقضت قصور الشاه والخير والعروس، التي شيدها المتوكل سنة (٢٤١هـ) وأنفق عليها أموالاً طائلة بأمر من المستعين بالله (٢٤٨-٢٥١هـ)، ليَهَبَ موادها إلى وزيره أحمد بن الخصيب (ت ٢٦٥هـ)^(١)؛ ليستفيد منها في بناء قصره الواقع عند الشارع الأعظم في سامراء قرب باب البستان^(٢)، ولم تستقر مواد القصر طويلاً، فهدم وسوي بالأرض ونفي صاحبه، على أثر اتهامه باغتصاب الأموال التي عمّره بها بغير حق^(٣).

وأسهم الصراع الذي دار بين من تبع المنتصر من أبناء البيت العباسي حول الحكم بإضعاف سلطة الدولة وتحكم القادة الأتراك بمفاصل الدولة وعدم استقرار الأوضاع الداخلية وأسهم الصراع الذي دار بين من تبع المنتصر من أبناء البيت العباسي حول الحكم بإضعاف سلطة الدولة وتحكم القادة الأتراك بمفاصل الدولة وعدم استقرار الأوضاع الداخلية

فتمت إعادة توجيه الموارد إليها. هذا النوع من النقل العمراني يعكس سياسة إعادة التمركز الحضري السائدة في العصور

(٤) ينظر: الطبري، تاريخ، ج ٧، ص ٤٤٨-٥٠٢؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج ٤، ص ٣٤٣-٣٤٤؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ١١٠؛ جواد وسوسة، دليل خارطة، ص ١١٧.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٤٥٥.

سامراء فيما بعد، فنقضت قصور الشاه والخير والعروس، التي شيدها المتوكل سنة (٢٤١هـ) وأنفق عليها أموالاً طائلة بأمر من المستعين بالله (٢٤٨-٢٥١هـ)، ليَهَبَ موادها إلى وزيره أحمد بن الخصيب (ت ٢٦٥هـ)^(١)؛ ليستفيد منها في بناء قصره الواقع عند الشارع الأعظم في سامراء قرب باب البستان^(٢)، ولم تستقر مواد القصر طويلاً، فهدم وسوي بالأرض ونفي صاحبه، على أثر اتهامه باغتصاب الأموال التي عمّره بها بغير حق^(٣).

أسهم الصراع الذي دار بين من تبع المنتصر من أبناء البيت العباسي حول الحكم بإضعاف سلطة الدولة وتحكم القادة الأتراك بمفاصل الدولة وعدم استقرار الأوضاع الداخلية

(١) أبو العباس أحمد بن الخصيب الجرجاني، كان من أشهر كتاب الدولة العباسية، تدرج في المناصب، وأصبح وزيراً للخليفة المنتصر ثم المستعين، ولم تستمر وزارته؛ إذ غضب عليه ونفاه إلى جزيرة كريت سنة (٢٤٨هـ) وبقي هناك حتى وفاته. ينظر: الطبري، تاريخ، ج ٧، ص ٤٢٠؛ الأصفهاني، الأغاني، ج ٢، ص ٣٩٥.

(٢) ابن رسته، الأعلام النفيسة، ص ٢٦٢؛ الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣١٦.

(٣) الثعالبي، الاقتباس، ج ٢، ص ٥٤٠.

تفكك ابنية سامراء وإعادة توظيف
موادها المعمارية من سنة (٣٣٤هـ) إلى
(٦٥٦هـ)

كان انحسار الدور العمراني

والحضاري لمدينة سامراء نتيجة تفاعل معقد بين عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وبيئية؛ إذ بدأت المدينة التي كانت في يومٍ من الأيام عاصمة الإمبراطورية العباسية، تتحول تدريجياً إلى أطلالٍ صامتة، ففي العصر الذي شهد عودة السلطة إلى بغداد كان الاستقرار

السياسي نسبياً، ثم أخذ بالتدهور حتى وصول البويهيين (٣٣٤-٤٤٧هـ) إلى العراق وسيطرتهم على مقاليد الحكم في البلاد، ولم يتمكنوا من ضبط أحوالها بشكل تام؛ لوجود صراعات بين أبنائهم حول السلطة تزامنت مع تحول العديد من أبنية مدينة بغداد إلى خرائب وعرضة للنهب. ولم يختلف وضع أبنية سامراء عنها فكانت أعمال الهدم فيها مستمرةً وواضحةً لكل من شاهدها^(٤)، بل إن البويهيين لم يترددوا في نقض أبنية المدينة، وإحضارها إلى مواقع بناء قصورهم التي

ثم بدأت أعداد سكان سامراء بالتناقص تدريجياً وتضاءلت شهرتها، فلم تعد عاصمة الدولة الإسلامية وانزوت وتحولت إلى قرية صغيرة بعد أن امتدت عمارتها إلى مسافات شاسعة^(١)، وبدأت المدينة مرحلة جديدة من تاريخها المعماري، فما إن وصلت إلى القمة والذروة انحدرت وبدأت بالنزول والزوال التدريجي، فتحولت عماراتها الضخمة والواسعة إلى مناجم لمواد البناء لمن شاء أن يشيد قصرًا أو جامعاً أو مدرسةً، طوال العصور العباسية المتعاقبة^(٢)؛ لكثرة ما استعمل فيها من المواد الأولية المتنوعة التي جلبت من مختلف أقطار العالم الإسلامي؛ لذلك كان «عمرانها يطوى وخرابها ينتشر»^(٣).

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ج ١، ص ٢٤٣.

(٢) ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ١٣٢، ج ١٦، ص ١٠١؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٢٢١.

(٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٦٤.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ج ١، ص ٢٤٣.



شيدوها في بغداد، إذ أمر معز الدولة البويهبي (٣٣٤-٣٥٦هـ) بهدم العديد من القصور التي كانت قائمة في مدينتي بغداد وسامراء عندما شرع ببناء قصوره في محلة الشامية شمال الجانب الشرقي من بغداد سنة (٣٥٠هـ)^(١)، ويبدو أن سوق بيع المواد الأولية كان رائجاً في ذلك الوقت، فقد سجل ذلك العصر حالات هدم بعض الدور الضخمة، وبيع أدواتها للاستفادة من أموالها في حل أزماتهم النقدية، وقد بدأ ذلك واضحاً حين بدأ نفوذهم على موارد البلاد بالضعف^(٢).

والمظاهر أن تلك الحملة لم تعالج وضع العمارة لأمد طويل؛ نتيجة لكثرة المشاكل السياسية التي واجهت البويهبيين. أما في العصر السلجوقي (٤٤٧-٥٩٠هـ)، فكان مصطلح الخرابات متداولاً؛ لكثرة ما هدم من القصور الفخمة والواسعة في مدينة بغداد^(٣). ومن الطبيعي أن تكون القصور والأبنية الفخمة التي تحتوى على مواد إنشائية مغرية عائدة لكبار الطبقة السياسية في بلد شهد تغييراً شاملاً لنظام الحكم، عرضة للنهب^(٤) من قبل أصحاب

وعلى إثر ذلك سعى الأمير عضد الدولة البويهبي (٣٦٧-٣٧٢هـ) لتقليل الفوضى العمرانية بحملة إعمار وتنظيف، من أجل الحد من الدمار الذي جرى على البلاد وأدى إلى شيوع عمليات الهدم لا

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٦، ص ٤٥٣ - ٤٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤٠٧ - ٤٠٥.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٦، ص ٤٥٥.

(٥) بنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ص ١١٩، ج ١٨، ص ٨٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤٥٥.

(٦) بنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ص ٢١٤، ص ٣١٩ - ص ٣٢١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٥٦١.

(١) ينظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج ٦، ص ٢٢٣ - ص ٢٢٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ١٣٢؛ ماري بن سليمان، اخبار فطاركة المشرق، ص ١٠٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٧٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٣٢٧.

(٢) ينظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج ٦، ص ٤٥٤ - ص ٤٥٥؛ الهمداني، تكملة تاريخ، ج ١، ص ٢٢٠.

السلطة والنفوذ وعامة الناس^(١).

ومن دون شك فقد عمت تلك الفوضى في مختلف أنحاء البلاد، فإذا كان حال عمائر عاصمة الدولة قد وصل إلى تلك الحالة من التدهور، من الممكن أن ينطبق ذلك على مدينة سامراء. والظاهر أن مرور الزمن على هجرها لم يكن موجب الرئيس في اندثار أغلب عمائرها، فهناك ما دل على أنها قد تحولت إلى منجم للمواد الأولية لكل من أراد تشييد أبنية فاخرة، فتابع السلاجقة البويهيين في هدم الأبنية والاستفادة منها، ففي سنة (٤٥٩هـ) قام كبير موظفي السلاجقة في بغداد أبو سعد المستوفي (ت ٤٩٤هـ)^(٢) بعمارة قبر أبي حنيفة النعمان، وصمم على أن يجعله من أجمل وأوسع المراقد في بغداد، فخصص له

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٨، ص ٤٩٩.

(٢) محمد بن منصور الخوارزمي ممثل مملكة السلطان ملك شاه السلجوقي في بغداد، كان معظماً ومحتشماً، كثير الأموال، يحب الخير، بنى مدارس ومساجد، وهو منشئ المشهد على ضريح الإمام أبي حنيفة، والقبة، ثم إنه في أواخر أيامه، لزم داره مكرماً محترماً. كانت الملوك يصدرون عن رأيه. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٤١٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ١٨٩.

قطعة أرض واسعة بعد أن اشترى الأبنية المحيطة به وهدمها، وأحضرت بعض المواد التي استعملت في البناء من أبنية سامراء^(٣). وعندما باشر السلطان ملك شاه (٤٦٥-٤٨٥هـ)^(٤) ببناء ما عرف بدار السلطنة السلجوقية الواقعة في الجانب الشرقي من بغداد، أراد ان يضيف إليها مسجداً جامعاً، سمي بمسجد السلطان أحضرت «أخشابه من جامع سامرا»^(٥).

وظلت مدينة سامراء مصدراً مهماً من مصادر المواد الأولية حتى العصور العباسية المتأخرة، ففي سنة (٦٥٣هـ) تم نقل النافورة الضخمة المصنوعة من الحجر المجوف المعروف بقصعة فرعون

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ١٠١.

(٤) أبو الفتح بن أبي شجاع محمد ألب أرسلان ابن داود الملقب جلال الدولة توفي سنة (٤٨٥ هـ)، عمّر القناطر وأسقط الضرائب والمكوس وحفر الأنهار الخراب، وشيد مدرسة أبي حنيفة والسوق وغيرها من الأبنية، حُطبت له من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن. وكانت الطرق في زمانه آمنة، وكانت أعماله في الخير جميلة، وكان يقف للمرأة والضعيف ولا يبرح إلا بعد أن ينصفهم. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٣٠٨ - ٣٠٩.

(٥) ابن العمراني، الانباء، ص ٣١٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٢٩٨.





مركزية الجذب من القصور التي شيدها العباسيون إلى الأضرحة التي خلدت سيرة الأئمة الأطهار^(٤).

المبحث الثالث

العوامل المؤدية إلى الهدم وإعادة التوظيف في مدينة سامراء حتى سنة (٦٥٦هـ)

أصبحت قضية هدم المباني وبيع أنقاضها في العصر العباسي من الأمور الشائعة؛ وذلك لكثرتها من جهة، واحتواء بعضها على مواد أولية غالية الثمن، فمعظم القصور وضع فيها المرمر والأخشاب الفاخرة كالساج وغيره، مما جعلها ذات أهمية كبيرة. والظاهر ان بعض الحكام العباسيين والسلاطين قاموا بهدم العديد من القصور الكبيرة وحمل موادها كالأجر والأخشاب إلى أماكن تخضع للحراسة؛ لتفويت الفرصة على عامة الناس من العبث بها وبيعها^(٥).

كما شهد العصر العباسي المتأخر منافسة بين الحكام العباسيين والسلاطين

(٤) ينظر: الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص ٦٥؛ الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٦؛ ج ٥، ص ٥٣.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٦٢، ص ٨٣.

من المسجد الكبير في سامراء^(١)، ونُصبت في إحدى أهم المدارس في بغداد وهي المدرسة الشرايية^(٢)، ويبدو أن كبر حجم النافورة وصعوبة نقلها لثقل وزنها قياساً لإمكانات ذلك الوقت، أدى إلى تأخر قلعها وإعادة تدويرها في مكان آخر، فقد كلف نقلها في زمن المتوكل حوالي ألف وخمسة مائة دينار^(٣).

ونتيجةً لما طال مدينة سامراء من أعمال هدم مستمرة، استولى عليها الخراب وتلاشت معظم عماراتها في القرن السابع الهجري ولم يبق منها الا محلات صغيرة متباعدة أهمها المحلة التي احتوت على مرقد الإمام علي الهادي وابنه الحسن العسكري عليه السلام، ومحلة كرخ سامراء، فيكون التحول الوظيفي في المدينة من القصور الضخمة والأبنية الشاهقة التي زالت بزوال مؤسسيها بسبب الأطماع وحب السلطة إلى مزار ديني يقصده الناس للدعاء والتبرك، وتحول المشهد العمراني للمدينة من معبر عن السلطة الدنيوية الزائلة إلى السلطة الرمزية الباقية، فانتقلت

(١) الغساني، المسجد المسبوك، ص ٦١٠.

(٢) سلمان، تخطيط المدن، ج ٩، ص ٥٢.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٢٥٢.



نقض الأبنية وحمل موادها من سامراء إلى بغداد للاستفادة منها في مشاريع معمارية ضخمة^(٤).

وإن كانت عمليات الهدم والاستفادة من موادها من قبل أصحاب السلطة تدور حول القصور والعمائر الضخمة، فقد سار عامة الناس على مسيرة حكاهم، وإن كانت تطلعاتهم متواضعة، فكل طبقة تهدم ما يناسبها؛ إذ أخذ الفقراء والعامّة يهدم المباني والدور القديمة والمهجورة للاستفادة من أنقاضها وإن كانت متواضعة، لكنها تلبّي طموحاتهم واحتياجاتهم؛ ليعاد تدويرها في بيوت صغيرة مرةً أخرى^(٥)، على الرغم من عدم إجازة ذلك من بعض الفقهاء؛ كونها أملاً كلاً خاصة وإن كانت متروكة أو مهدامة^(٦). إلا أن الحد من تلك الظاهرة لم يجد نفعاً، حيث بينت الدراسات الحديثة أن هدم العمائر والاستفادة من مخلفاتها شمل معظم المدن

السلاجقة حول هدم المباني القديمة وحمل موادها إلى مقراتهم، فكانت تتوزع بين دار الخلافة ودار السلطنة؛ للاستفادة منها في تغطية تكاليف القصور الكبيرة التي يشيدها الحكام والسلاطين^(١). وبدأنا نشهد تطور في عملية تدوير مواد البناء، فقد أخذ التحفظ عليها أبعداً أخرى، فكان بعض الحكام يهبونها إلى من يشاؤون بدلاً من الأموال، فجمعوا من مخزون الأجر واللبن والأخشاب رصيماً اقتصادياً، بينما كان أسلافهم يقدقون الأموال والجواهر على المغنين والشعراء وغيرهم^(٢).

وعلى الرغم من عدم امتلاكنا أدلة دامغة عن أسعار مواد البناء في تلك المدة، إلا أن المعطيات عن كثرة هدم الأبنية واستعمال أجرها يبين أنها كانت ذات قيمة مادية جيدة، فلو كانت غير ذلك لما أصبح إعادة استعمالها ظاهرة ملفتة للنظر في العصر العباسي^(٣)، فقد تكررت عملية

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٨، ص ٤٩٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ص ٢١٧، ص ٣٣٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٦١٧.

(٣) ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ص ١٠٠، ج ١٨، ص ١٧١ - ص ١٧٢، ص ١٩٣؛ ابن

الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤٣٨.

(٤) ابن العمراني، الانباء، ص ٣١٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٢٩٨.

(٥) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٦٢.

(٦) عثمان، المدينة الإسلامية، ص ١٣٩.



العراقية بما فيها سامراء^(١).

وكان للتحويلات في خطط المدن أثر كبير فتغيير مكانة أي مدينة قد تؤدي إلى تركها لأي سبب من الأسباب، فيصبح سعر العقار فيها متدنياً ولا يساوي قيمتها الحقيقية ولا حتى قيمة المواد الانشائية التي وضعت فيها، أو تكون مصادر مغرية لمن أراد أن يتجاوز عليها وينهب مواردها، فلجأ أصحاب العقار في بعض المحلات إلى هدمها والاستفادة من قيمة مواردها البنائية عن طريق بيعها كتعويض الخسارة من جهة، وقطع الطريق أمام كل من يفكر في التعدي عليها ونهبها، مما يدل على وجود من يتحين الفرصة ويهدم العقارات المتروكة ورواج تجارة بيع مواد البناء المستعملة^(٤). وقد كان للسكان المحليون دور كبير في هدم الكثير من مباني وقصور سامراء؛ وذلك لعدم ادراكهم لأهميتها كمعالم حضارية من جهة، وقربها من أماكن سكنهم من جهة أخرى، ومن أهمها قصر المعتصم؛ إذ تم العثور على بقايا جدرانه قد وضعت في المباني المشيدة بالقرب من المدينة القديمة^(٥). ولا يستبعد

ومن المعروف أنّ أغلب سقوف العمائر العراقية كانت من الخشب بأنواعه وهو الوقود الرئيس المستعمل في الطبخ والتدفئة وغيرها؛ لذلك كانت الحاجة إلى طلبه مستمرة، فنجد بعض الإشارات إلى أن عامة الناس والفقراء اتخذوا من قلع سقوف المباني مصدراً للعيش من خلال بيعها على الخبازين، ومن المحتمل أن يقتصر ذلك على التالف والمتهرئ منها؛ لعدم إمكانية تدويره في أبنية أخرى^(٢).

ومن الملاحظ أن قضية الهدم والبناء وإعادة تدويره استمرت حتى العصور العباسية المتأخرة، وأصبحت جزءاً من الأعمال التي تمارسها جماعات مختصة، وتحول بيع الأنقاض إلى تجارة رائجة في بعض الأحيان، إذ وفرت لهم مورداً مالياً يعتمد على بيع أنقاض العمائر المهجورة أو المخربة، فأطلق عليهم مصطلح الخرابون^(٣).

(١) العلي، خطط البصرة، ص ٧٢؛ سلمان وآخرون، العمائر العربية، ج ١، ص ٥٦.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٨، ص ٤٩٩.

(٣) الصولي، الاوراق، ج ٢، ص ٢٦٢.

(٤) ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ٣٤،

ص ٤٧؛ الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٢.

(٥) مديرية الآثار العراقية القديمة، سامراء،



ان تكون عمليات هدم الأبنية والاستفادة

من موادها وتدويرها داخل حدود سامراء كانت شائعة.

وقد كان لطبيعة أرض مدينة سامراء دور كبير في إمكانية الاستفادة من المواد الإنشائية المتواجدة هناك، فوجود مناطق طينية واسعة وصالحة لعمل الآجر وأنواع من التربة الكلسية التي تصلح لإنتاج أنواع الجص الجيد جعلها مقالغ غنية بمواد إنشائية لا غنى عنها^(١).

ومن المهم أن نعلم أن المواد التي كانت تستعمل لربط الآجر والطابوق ببعضه في أغلب المدن العراقية، ومنها سامراء، هي من شجع على الهدم وإعادة البناء، وذلك لسهولة إزالتها وفرزها من دون أن تلحق أضراراً في اللبن أو الآجر؛ لأنها تتكون من الطين أو الجص وهما من المواد ذات الخواص القابلة للتفتت بيسر من جهة، ولا تتطلب أعداداً كبيرة من الأيدي العاملة، أو وقتاً طويلاً، وبذلك تكون كلفة هدمها غير عالية، ومربحة لمن أراد المتاجرة بها أو إعادة استعمالها للبناء في

مكان آخر^(٢). كما نجد أن تكرار الفيضانات والكوارث الطبيعية أدى إلى الحاجة الملحة لبناء السدود أو الأسوار المحكمة التي تتطلب السرعة في الإنجاز وكميات كبيرة من الآجر وغيره من المواد، ومن المحتمل أن تكون بعض أبنية سامراء قد نقضت لأجل ذلك كما كان يحدث في بغداد^(٣).

وقد أسهمت محاذاة مدينة سامراء لنهر دجلة بشكل كبير بتسهيل حركة نقل المواد الأولية في وقت كانت فيه حركة الملاحة النهرية أفضل طريقة لنقل البضائع من شمال إلى جنوب العراق، وكان الشارع الذي سمي بشارع الخليج من أهم المناطق التي يتم فيها التبادل التجاري عن طريق السفن المحملة بالبضائع والراسية عند نقطة اتصاله بالنهر، فقد تم إحضار أغلب متطلبات المدينة عن طريقها، وعند خراب المدينة وانحسار مركزيتها على إثر انتقال الثقل السياسي إلى بغداد، بين ان استراتيجية سحب موادها إلى المراكز الحيوية اعتمد بشكل كبير على خط نهر

(٢) مديرية الاثار العراقية القديمة، سامراء، ص ٣٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢٣٢.

(٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٥.



دجلة، والاستفادة من سهولة وقلة كلفة النقل النهري^(١).

الخاتمة

تكشف دراسة مدينة سامراء، من خلال منظور جدلية البناء والهدم، عن عمق العلاقة بين السياسة والعمران في الحضارة الإسلامية، لقد كانت المدينة تجسيداً حياً لفكر الدولة العباسية، ومسرحاً للتفاعل بين الطموح الإمبراطوري والواقع المادي، فحين تأسست سامراء كانت رمزاً للقوة والتنظيم، وحين انهارت أصبحت شاهداً على هشاشة المجد البشري أمام تقلبات الزمن، إن عملية البناء في سامراء لم تكن فعلاً عمرانياً فقط، بل كانت إعلاناً سياسياً وثقافياً، بينما مثل الهدم الوجه الآخر لتلك الجدلية؛ إذ عبّر عن التغيّر التاريخي والانتقال من مرحلة إلى أخرى.

يُظهر تحليل العوامل المؤدية إلى هدم أغلب أبنية سامراء أنها لم تهدم بسبب عامل واحد، بل نتيجة تفاعلٍ جدلي بين السياسة والاقتصاد والمجتمع والبيئة، فقد كان عمرانها مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بقوة الدولة المركزية، وعندما انهارت تلك الدولة تهاوى البناء المادي والمعنوي معها، فما حدث فيها يُعدّ نموذجاً واضحاً لتأثير التحوّلات السياسية في العمران.

تُبرز دراسة جدلية البناء والهدم

إن تقادم الزمن على المباني المشيدة في العصر العباسي، الممتد زهاء خمسة قرون، يعد عاملاً أساسياً في اندثار الكثير من معالمه المعمارية؛ إذ أدى طول المدة، المصحوب بضعف الوعي التاريخي لدى أغلب الناس، إلى عدم تقدير القيمة الجمالية والأثرية لتلك الأبنية القديمة، فتعرضت للهدم وأعيد تدوير موادها في إنشاءات تالية، فإنّ ما شُيّد في بدايات الدولة العباسية أخذ يتقادم تدريجياً حتى صار في أواخر عهدها من الآثار المهملة التي لم تُصن أو تُحفظ، فتقادم البناء في بعض القصور الفخمة وعدم إمكانية ترميمها وانتهاء الحاجة إليها والاستفادة من المساحات الواسعة المميزة التي كانت تشغلها، وللانتفاع من إعادة تدوير موادها في بناء أبنية وقصور جديدة اثر كبير في تكرار حالات الهدم في العصور العباسية لا سيما المتأخرة منها^(٢).

(١) اليعقوبي، البلدان، ص ٦٣؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ٣٢٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٩١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٥١٤.

المصادر والمراجع:

في سامراء أن العمارة ليست مجرد نشاطٍ ماديٍّ، بل فعلٌ فكريٌّ وحضاريٌّ يظهر صراع الإنسان مع الزمن والسلطة والبيئة، فقد جسّدت سامراء بأطوارها المختلفة - من البناء إلى الهدم إلى إعادة التدوير - مسار الحضارة الإسلامية في تقدمها وانكسارها وتجديدها، وإذا كانت المادة قد تفكّكت، فإن المعنى استمرّ، وإذا زالت المدينة فيزيائيًّا، فإنها بقيت في الذاكرة المعمارية للعراق والعالم الإسلامي إلى يومنا هذا.

ومن خلال تتبّع هذه الجدلية، يتبين أن العمارة الإسلامية في العراق كانت مرآة صادقةً للتبدلات الكبرى في بنية الدولة والمجتمع، فالمدينة الإسلامية - كما تجسّدت في سامراء - ليست كيانًا جامدًا، بل كائنٌ حيٌّ يتفاعل مع الدين والفكر والسياسة والاقتصاد، وكل مرحلة من حياتها بناءً أو هدمًا أو إعادة توظيف تحمل دلالةً حضاريةً عميقة عن مفهوم الاستمرارية والبعث في الحضارة الإسلامية.

١- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن

٢- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ - ١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ)، الأبناء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١م.

٤- ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد الهمداني (ت ٣٤٠هـ - ٩٥١م)، البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٥- ابن الفوطي، عبد الرزاق بن تاج الدين الشيباني (ت ٧٢٣هـ - ١٣٢٣م)، حوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق مهدي النجم، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م.





- ٦- ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ-١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، القاهرة، دت.
- ٧- ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي (ت ٣٧٦هـ - ٩٨٦م)، صورة الأرض، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.
- ٨- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ-١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
- ٩- ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت بعد ٢٩٢هـ-٩٠٥م)، الاعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ١٣١١هـ-١٨٩٣م.
- ١٠- ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل (ت ٧٧٤هـ-١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ١١- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ-٩٦٧م)، الأغاني، تحقيق مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،
- ١٢- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ-٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م.
- ١٣- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك النيسابوري (ت ٤٢٩هـ)، الاقتباس من القرآن الكريم، تحقيق ابتسام مرهون، جدار للكتاب العالمي، اربد، ط١، ٢٠٠٨م.
- ١٤- جواد، مصطفى وسوسة، أحمد، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا، مكتبة الحضارات، بيروت، ٢٠١١م.
- ١٥- الحموي، ياقوت شهاب الدين بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ-١٢٢٩م)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ١٦- الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ-١٠٧١م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ١٧- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ-١٣٤٧م)، سير أعلام



- النبلاء، تحقيق حسين الاسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤١٣هـ - د.ت. ١٩٩٣م.
- ٢٤- الصولي، محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ-٩٤٧هـ)، الاوراق، تحقيق ج.هيورث. دن، مطبعة الامل، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ٢٥- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ-٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك أو تاريخ الطبري، تحقيق لجنة من العلماء، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٢٦- عبد الرزاق، أحمد، الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، ط ١، كلية الآداب جامعة عين شمس، ط ١، القاهرة، ٢٠٠١م.
- ٢٧- عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت - ١٩٩٠م.
- ٢٨- العلي، صالح أحمد، خطط البصرة، مجلة سومر، مجلد ٨، بغداد، ١٩٥٢م.
- ٢٩- العميد، طاهر مظفر، العمارة العباسية في سامراء في عهدي المعتصم والمتوكل، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٦م.
- ٣٠- الغساني، اسماعيل بن العباس (ت ٨٠٢هـ-١٤٠١م)، العسجد المسبوك النبلاء، تحقيق حسين الاسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤١٣هـ - د.ت. ١٩٩٣م.
- ١٨- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغي (ت ٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق محمد بركات وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط ١، ٢٠١٣م.
- ١٩- سفر، فؤاد والحسيني وصادق، صيانة الأبنية الأثرية في العراق، مديرية الآثار العامة، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٥م.
- ٢٠- سلمان، عيسى وآخرون، العمارات العربية الإسلامية في العراق، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م.
- ٢١- سلمان، عيسى، تخطيط المدن، بحث منشور ضمن موسوعة حضارة العراق، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٢٢- الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ-٩٩٨م)، الديارات، تحقيق كوركيس عواد، مكتبة المثنى، بغداد، ط ٢، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
- ٢٣- الصابي، أبو الحسين هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ)، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد



- والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق محمود عبد المنعم، دار البيان، بغداد، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- ٣١- كريزويل، كيبيل ارشيلد، الآثار الإسلامية الأولى، ترجمة عبد الهادي عبلة، ط١، دار قتيبة، دمشق، ط١، ١٩٨٤م.
- ٣٢- ماري بن سليمان (القرن الثالث الهجري)، أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجلد لماري بن سليمان، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٤م.
- ٣٣- مديرية الاثار العراقية القديمة، سامراء، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٠م.
- ٣٤- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ-٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف اسعد داغر، دار الهجرة، قم المقدسة، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- ٣٥- مسكويه، أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ-١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق أبو القاسم امامي، دار سروش، طهران، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- ٣٦- المقدسي، محمد بن أحمد البشاري (ت ٣٨٠هـ-٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- ٣٧- الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت ٦١١هـ-١٢١٤م)، الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ٣٨- الهمداني، محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١هـ-١١٢٧م)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط٢، ١٣٨١هـ-١٩٦١م.
- ٣٩- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢هـ-٩٠٥م)، البلدان، تحقيق محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ٤٠- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢هـ-٩٠٥م)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت - د. ت.
- ٤١- يوسف، شريف، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م.